الإصلاح والنهضة في الإسلام

حمادي هواري*، أستاذ محاضر –أ-
الكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية- الجامعة: جامعة معسكر – البلد: الجزائر.
البريد الإلكتروني: houari.hammadi@univ-mascara.dz

تاريخ الارسال : 2020/ 04/05	تاريخ القبول : 2020/05/13	تاريخ النشر :2020/06/30

ملخص :

عندما نبحث في معنى الإصلاح، نجد تعددا في مفاهيمه، ومن بينها تصوره وطرحه كطريق للنهضة في الإسلام، الذي حمل رايته الكثير من المفكرين واشتغلت عليه مختلف التيارات بما فيها العلمانية، إذن في هذا المقال نسعى إلى البحث في الفكر الإصلاحي وعلاقته بالنهضة في الإسلام، وهدفنا في ذلك بيان مفهوم الإصلاح وأسسه وأشهر رواده ودوره في التأسيس للنهضة من زوايا مختلفة، يمكن الاستفادة منها في إرساء دعائم نظرة عقلانية تنويرية للإسلام تؤدي بالمجتمعات الإسلامية إلى ركب قطار النهضة والحداثة.

Abstract

When we consider the meaning of reform, we find a multiplicity of its concepts, among which is its perception and its presentation as a way of the renaissance in Islam, which has carried its opinion many thinkers and worked on various currents, including secularism, so in this article we seek to research in reformist thought and its relationship to the renaissance in Islam, and our goal This includes explaining the concept of reform, its foundations, its most famous pioneers, and its role in establishing the Renaissance from different

* حمادي هواري

angles, which can be used to lay the foundations of a rational Enlightenment view of Islam that leads Islamic societies to embark on the renaissance train and modernity

مقدمة:

إن الحديث عن الإصلاح في الفكر العربي والإسلامي في الفترة الحديثة، يرتبط بجملة من العلماء والفلاسفة حملوا راية الجمع بين العلم والعمل، التراث والنهضة، الماضي والحاضر...حيث أرقهم الوضع الحاصل في العالم العربي وما يحمله من تخلف عن الركب الحضاري، وما يعانيه من فساد في مختلف المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية...فأسسوا لفكر إصلاحي مثل طريقا للتجديد والتغيير المؤسس على العلم بالدرجة الأولى.

أهم محطة تستوقفنا في هذا المقال، هو تأسيس الإصلاح على العلم وربط التجديد والتغيير بالفكر الفلسفي، نظرا لدور الذي لعبه هذا الأخير منذ فجر الحضارات الشرقية القديمة والحضارة االيونانية التي لعب فيها الفكر دورا هاما في اصلاح ونهضة المجتمعات آنذاك في مختلف ما تعانيه من أزمات سياسية واجتماعية واعتقادية....

إذن سنطلق من إشكال فلسفي: لماذا يقوم الإصلاح على العلم والمعرفة أو الفكر الفلسفي تحديدا رغم طابعه العملي الذي يهدف لتغيير الواقع؟ أو بلغة أبسط إن كان الإصلاح عمليا فكيف يرتبط بما هو فلسفي نظري؟

ينطلق بحثنا من فرضية: التداخل بين العلم والعمل في الفكر الإصلاحي، حيث لا يمكن أن نتصور إصلاحا ولاسيما في الفكر العربي الحديث منفصلا عن جانب نظري وعلمي، رغم طابعه الثوري والتغيري، فالإصلاح الحقيقي هو ما قام على أرضية علمية وجانب نظري وفلسفي.

هذا الجانب هو ما سنكتشفه بالبحث في مفهوم الإصلاح، وأسسه ورواده وتياراته ...لعلنا نستفيد منه في مواكبة مختلف معطيات العصر ومستجدات العولمة التي تجد آفاقا كبرى في ميدان الفكر الإصلاحي.

1-مفهوم الإصلاح:

في اللغة: يرتبط بعدة عناصر نفهمها كما يلي:

- بصورة عامة يفهم الاصلاح ضد الفساد.
- يرتبط الاصلاح بالفعل أصلح ...الذي يدل على تغيير حالة الفساد أي إزالة الفساد عن الشيء.
- يرتبط كذلك بكلمة صالح لكذا أي مؤهل للقيام به.

في الاصطلاح: يرتبط بالإصلاح الديني السياسي الاجتماعي...الذي حمل رايته زعماء الاصلاح في مختلف الأمكنة والأزمنة، ولكن يجد حضور كبيرا في المجال الديني.

ويعني **في الإسلام**:محاربة الفساد بالدرجة الأولى، ففي القرآن هناك عدة آيات وردت فيها كلمة الإصلاح باشتقاتها المختلفة منها، منها: الأية 88 من سوره هود: "إن اريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله" هنا يظهر الإصلاح العام الذي يتجسد عندنا المسلمين في الغالب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الذي يرتبط حسب رشيد رضا كذلك بمرعاة ثلاثة حقوق حق الله، حق النفس، حق الآخرين.. الآية 117 من سورة هود دائما: "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون" فالمعنى المقصود بالإصلاح في الإسلام يرتبط بأن الشرائع الإلهية والسنن الكونية التي حددها تقتضي أن الهلاك في الأرض يرتبط بالفساد فيها والظلم.

كما أن الإصلاح في معناه العام المتداول في الدراسات التاريخية والأكاديمية ككل يدل في الغالب على حركة زعماء الإصلاح في فترة من الفترات أو يعبر عن

محطة تاريخية بطلها المصلح الذي يشعر بآلام شعبه ومجتمعه ويفكر بعمق في كيفية تغييره، لأن زعماء الإصلاح "يشعرون بآلام شعوبهم ويدركون الأخطار المحيطة بهم، ويفكرون بعمق في أسباب الداء ووصف الدواء" [1].

وفكرة الاصلاح هي محطة تاريخية لأنها لا تتكرر وهي فريدة من نوعها أي تختلف باختلاف الظروف والعصور والبيئات.

إضافة إلى ما سبق يختلف الإصلاح عن الثورة لأن همه في الغالب هو إعادة الأمور إلى حالتها الطبيعية وإزالة الشوائب وليس التغيير الجذري كما هو الحال مع الثورة، فهو يقابل الفساد في لسان العرب: أصلح الشيء بعد فساده، أقامه، وأصلح الدابة أحسن إليها، ...لذلك ارتبط الإصلاح أحيانا بالتيارات الدينية والسلفية تحديدا لأنها تريد رد المجتمعات إلى حالتها الأولى التي هي النموذج وهي الحقيقة وهي طريق الفلاح.

كما أن الاصلاح يختلف عن النهضة التي في معناها العام اليقظة أو حركة التنوير في المجتمع العربي حمل رايتها خطابات نهضوية تبحث في مأزق التخلف وسبل تجاوزه، أما الإصلاح فيرتبط بتجاوز الفساد والشعور بآلام وأضرار المجتمع والرغبة في تغييرها نحو الأفضل وهو بلغة بسيطة تشخيص داء الفساد والبحث عن دواء الإصلاح له، ولكن هذا الاختلاف لا يمنع من أن يكون الإصلاحي طريقا لفكر فلسفي إسلامي غايته القصوى تحقيق النهضة والخروج من التخلف كما ظهر عند مختلف أقطابه في شتى العصور.

2-المنطلق والهاجس المشترك للإصلاح في الفكر الإسلامي:

إن الحديث عن الإصلاح في الإسلام لا يرتبط بمصلح أو تيار بعينه كما هو شائع ومتداول، بل بجملة من المفكرين والزعماء يختلفون في توجهاتهم

[1] طهاري محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1992، الجزائر ص 14.

وتياراتهم، ولكن رغم ذلك كثيرا ما كانت المنطلقات مشتركة والهواجس بين المصلحين على اختلاف توجهاتهم، ومنها:

- يشترك الإصلاحيون في المنطلق السياسي والثقافي، حيث "اهتم الإصلاحيون المغاربة بأمرين اثنين عني بهما نظراؤهم المشارقة بالقدر نفسه: المسألة السياسية والثقافية، أي إشكاليات العلاقة بالغرب الأوربي، والكفاح ضده في الدين والثقافة والعمل السياسي"[2]، فالفكر الإصلاحي في المشرق مع كوكبة المصلحين كالأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ...والفكر الإصلاحي في المغربي مع بن باديس وعلال الفاسي ...يقوم على إشكالية العلاقة مع الغرب وكيفية محاربة ثقافته وغزوه الفكري وتأثيره على الدين وبالتالي رفض نظامه السياسي والسعي إلى المحافظة على الوطن وعناصره : اللغة، الدين، العادات ...ضد كل ما هو أجنبي وما هو دخيل.

- العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، يعتبر النص القرآني المصدر الأول، للفكر الإصلاحي عند مختلف رواده، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قدم الشيخ محمد عبده قراءة تأويلية للقرآن الكريم لغاية الإصلاح في تفسير "المنار"، ومن أهم السور التي عالجها والتي هي ذات علاقة وطيدة بالإصلاح سورة العصر، **"والعصر (1) إن الإنسان لفي خسر (2) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر(3)"**، فقد جاء في تفسير الإمام للآية بالعودة للإمام الشافعي أنه لو نزلت هذه السورة فقط لكفت الناس، وورد عنه كذلك أنه كلما اجتمع اثنان من الصحابة لا يفترقان حتى يقرأ أحدهما على الآخر السورة..."وقد ظن الناس أن ذلك للتبرك وهو خطأ، وإنما كان ليذكر كل واحد منهما صاحبه بما ورد فيها، خصوصا في التواصي

[2] بلقزيز عبد الإله، الإسلام والحداثة والاجتماع السياسي –حورات فكرية-، حوار مع رضوان السيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2004، ص 46.

بالحق، والتواصي بالصبر، حتى يجتلب منه قبل التفرق وصية خير لو كانت عنده"[3]، فالاهتمام بهذه السورة على سبيل المثال لا الحصر، تدل أن المنطلق الأول للإصلاحين في التغيير هو القرآن الكريم، والقراءة التأويلية له في إطار ظروف ومستجدات العصر.

- الربط بين التراث والحاضر: منطلق المصلحين الرئيسي يتمثل في كيفية بناء العلاقة بين الماضي لكن في إطار مفهوم التراث، وبالتالي ينظر له عند الإصلاحيين من عدة زوايا، وأهمها الزاوية الوطنية، حيث يمكن القول في هذا الصدد مع 'حسن حنفي' أن التراث "قضية وطنية تمس حياة المواطنين وتتدخل في شقائهم أو سعادتهم. والدافع إلى التجديد ليس عاطفة التقديس والاحترام والتبجيل الواجبة لكل موروث ديني بل انتساب الإنسان المجدد إلى أرض وانتماؤه إلى شعب" [4] ، بالتالي النظر إلى التراث عند الإصلاحيين لا يمكن اعتباره قضية دينية بموجب أنه يتأسس عليه ولكن قضية وطنية لأنه يدل على الارتباط بالأرض والوطن ورفض المحتل والدفاع عن المحلي ضد الوافد في مختلف المجالات، وفي ذلك دلالة على التعلق بالأرض وحب الوطن الذي يعتبر هاجس المصلحين في رفض الاستعمار كما هو الحال عند عبد الحميد بن باديس في الجزائر الذي دافع عن اللغة العربية والدين الإسلامي من أجل وطنه الجزائر ووحدته ضد العدو بالدرجة الأولى.

- الجمع بين الدين والعلم : يؤكد المصلحون على أهمية العلم كمنطلق للإصلاح فكثيرا ما يحاربون مواقف الجمهور وينقدونها من الدين ....باسم العلم يرى محمد عبده في هذا الصدد " أن الداعين إلى العلم أو المنبهين إلى

---

[3] الجويني مصطفى الصاوي، التفسير الأدبي للنص القرآني، منشأة المعارف بالأسكندرية، مصر، د ط، 2002، ص 45.

[4] حسن حنفي، التراث والتجديد،-موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوزيع، بيروت لبنان، ط5، 2002، ص 23.

الأخذ بأصول الدين الإسلامي كثيرون، ولا نرى مع ذلك من أغلب المسلمين إلا آذانا صما وأعينا عميا، وصد عن ما يقول هؤلاء" [5] كثيرا ما كان منطلق المصلحين المحوري الجمع بين التكوين الديني كحفظ القرآن وقراءة مختلف علوم الدين كالفقه وعلم الكلام والأصول والتكوين العلمي والفلسفي في المدارس أو الجامعات الغربية في الكثير من الأحيان، حيث أن الكثير من المصلحين وقع في إشكالية العلاقة مع الآخر والتي مفادها: كيف نتعامل مع الغرب الاستعمار والغرب الحضارة؟ والتي تظهر جليا في النشأة التي يتلقاها المصلح في بيئة عربية دينية إسلامية، ثم يتأثر بالتخلف والانحطاط الحاصل في وطنه الأصلي، فيحدث له مأزق النهضة والذي في الغالب يدرك في إطار ثنائية الغرب المستعمر الذي يجب مكافحته، والغرب الحضارة التي يجب الاستلهام من علومها وثقافتها ومناهجها.

- الربط بين الدين والحاضر: مختلف التيارات الإصلاحية لا تدعوا إلى العودة إلى الدين فقط بل ترى أنه أساس فهم الحاضر لأن "فكرة الاصلاح في الفكر السلفي الحديث، سواء تعلق الأمر بسلفية محمد بن عبد الوهاب، أو بسلفية جمال الدين الأفغاني أو سلفية محمد عبده أو بأي تيار سلفي آخر قديم أو حديث...تنبني وتتأسس على على مضمون تلك المقولة التي تنسب إلى الإمام مالك، والتي جاء فيها: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها "[6].

- الانطلاق من النظر في مجالات كبرى للإصلاح، وعلى رأسها: التربية التي تعتبر الهاجس الأول للتغيير عند مختلف المصلحين حيث بحث فيها الطهطاوي – طه حسين – بن باديس ...، السياسة قام الإصلاح على مواجهة

---

[5] عبده محمد، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 2، 1983 ص 207.

[6] الجابري، في نقد الحاجة إلى الاصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص 23

الاستعمار وبقاياه ونقد الاستبداد، المجتمع والاقتصاد هدف الإصلاح إلى اصلاح جوانبه الدينية واللغوية وإخراج المجتمع من الفقر والتخلف ...

- ينطلق الإصلاح من المؤسسات التربوية والدينية والعمل الصحفي والجمعوي، حيث كون كبار فلاسفة الإصلاح صحف مختلفة: مثل: العروة الوثقى...كما أسسوا لجمعيات دينية وثقافية ...مثل: جمعية العلماء المسلمين لدى الشيخ عبد الحميد بن باديس.

- الرد على التيارات المادية والملحدة كما تجلى في رسالة "الرد على الدهريين" للأفغاني ومحمد عبده- ونقد التيارات الاستشراقية ومحاولة الدفاع عن الهوية والتراث ومقومات الأمة.

إذن تيارات الفكر الإصلاحي مهما تعددت واختلفت إلا أنها تشترك في تغيير الواقع الذي تعانيه الأمة الإسلامية، وهاجسها المشترك البحث في سبيل الوصول إلى النهضة وتجاوز مأزق التخلف ومحاربة انتشار الفساد في مختلف الميادين، كما أن منطلقاتها تتعدد ولكنها تشترك في أرضية علمية وفكرية تنطلق منها، لأن لمختلف المصلحين تكوين ديني وعلمي أو فلسفي في الوقت نفسه فقط هناك اختلاف في آلياتهم في تحقيق الإصلاح ومحاربة الفساد، وما انتهى إلى وجود تيارات كبرى في الإصلاح تختلف باختلاف مرجعيات وآليات وطموحات زعماء الإصلاح.

3- تيارات الإصلاح وأقطابها في الإسلام:

ارتبط الإصلاح في الإسلام بعدة تيارات أهمها:

3-1:الإصلاح في التيار السلفي والديني:

يعتمد التيار السلفي والديني على مرجعيات سلفية ترجع إلى المذهب الحنبلي أولا الذي يعطي الأولوية للنص، ثم إلى الشيخ احمد بن تيمية و تلميذه ابن القيم الجوزية أهم رواده أحمد بن عبد الوهاب يقول الجابري

عن الصلاح كما يفهمه التيار السلفي: "هو ذلك الذي نهض له ابن تيمية وتابعه محمد بن عبد الوهاب وقوامه الرجوع إلى ماكان عليه أول الأمة من عدم زيارة القبور وما لأشبه وما يخدش في مفهوم التوحيد في الاسلام ويذكر بسلوك المشركين من العرب وغيرهم ازاء أصنافهم"[7]، إذن يتحقق الإصلاح في التيار السلفي عن طريق الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح، ومخالفته هو سبب انحطاط المجتمعات العربية الإسلامية. كما أن مرجعية العودة إلى السلف في نظر التيار السلفي، ترتبط بمجموعة من الأحاديث النبوية أهمها: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء" في هذا الحديث لما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم من الغرباء أجاب بأنهم الذين يصلحون إذا فسد الناس. والحديث الثاني قوله ثلى الله عليه وسلم "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والمقصود بقرني زمني وعهدي." ويقوم الإصلاح في نظر التيار السلفي كذلك على مقولة الإمام مالك، والتي جاء فيها: "لا يصلح آخر هذه إلا ما أصلح أولها" .

كما أن هناك تيارات سلفية تبنت ما يمكن أن نسميه بالإصلاح الثوري ومن أهم رواده ، جمال الدين الأفغاني الذي واصل مسيرة التيار السلفي فحسب الجابري يكون قد "تبنى موقف ابن عبد الوهاب من زيارة القبور والطرقية الصوفية وما أشبه ذلك، و-لكن- ركز مجمل تحركاته ضد الاستعمار الذي كان يغزوا الأقطار الإسلامية في القرن التاسع عشر داعيا الأمم الشرقية إلى النهوض واكتساب القوة والمناعة "[8] فقد حدث تحول في التيار السلفي في التيارات الثورية والاصلاحية الموالية مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، حيث انتقلا إلا فكرة جديدة وهو: أنه لا يكفي البحث

[7] المصدر السابق، ص 26

[8] المصدر السابق، ص 30

عن الانحراف عما كان عليه أول الأمة لتحقيق نهضتها واصلاحها، كما لا يكفي الماضي بل يجب العودة إلى الحاضر والمستقبل لتحقيق النهضة والاصلاح، فالآخر هنا لم يعد الماضي ولكن أصبح التقدم الأوربي.لذلك كانت نظرة الأفغاني الاصلاحية تقوم على مقاومة الاستعمار بالدرجة الأولى.

يقوم الإصلاح عند الأفغاني على العودة إلى الدين حيث يرى أنه منطلق إصلاح الفساد والتنوير حيث لم يكتف بالبحث عن القوة والنجاح في العالم الإسلامي بل بحث عن كيفية اقناع الالمسلمين بفهم دينهم فهما صحيحا ورأى ضرورة تجاوز الجهل وعلى الشرق أن يتعلم من أوربا الفنون والعلوم ليس بالتقليد بل بنظرة فكرية ويسعى لخلق مدنية مزدهرة .

يعتبر جمال الدين الأفغاني من أكبر رواد ومؤسسي الفكر النهضوي الحديث والمعاصر، وهو "كاتب وخطيب ومصلح ديني واجتماعي وسياسي، له خطوات فلسفية ودعوة إلى تحرر الأمم الإسلامية من الاستعمار والتدخل الأجنبي، وذلك باتحادها وإقامة حياتها السياسية والاجتماعية على نظم دستورية"[9] من مؤلفاته : رسالة في الرد على الدهريين، صحيفة العروة الوثقى، تتمة البيان. كما أن أفكاره تقوم أفكاره التي نشرها معظمها مع محمد عبده في "العروة الوثقى" على محاربة الاستعمار الانجليزي .

أما الفلسفة عند الأفغاني فقد درس الفلسفة العربية القديمة في بلاده ثم الفلسفة الاأوربية والرياضيات في الهند ، أكد قيمة العقل، يقول|: فالحكم للعقل وللعلم حتى ولو كانت حقائق العلم واحكام العقل لا ترضي العامة الذين يساندون رجال الدين وتجار الديانات ذلك لأن العقل لا يوافق الجماهير وتعاليم العقل لا يفقهها إلا نخبة المتنورين" وتقوم فلسفته على

1-عمراني عبد المجيد، محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي منشورات الحبر الجزائر، ط1/ 2008 ص127.

الإعلاء من قيمة الإنسان "إن الإنسان من أكبر أسرار هذا الكون وسوف يصل بالعلم وبإطلاق سراح العقل إلى تصديق تصوراته فيرى من التصورات مستحيلا قد صار ممكننا وما صوره جموده وتوقف عقله عنده لأنه خيالا قد أصبح حقيقة" كما أن فلسفته على الربط بين الفكر والمادة أو الفكر والتطبيق حيث يرى أن هناك تأثير متبادل بين الأفكار والأشياء.

وقد تابع مسيرة الأفغاني "الشيخ محمد عبده" 1845-1905 الذي يعتبر من أكبر رواد النهضة والإصلاح في مصر وفي العالم العربي والإسلامي، حفظ القرآن الكريم، ودرس بالأزهر كما اتجه إلى المزواجة بين الدراسات الإسلامية والعلوم الطبيعية إلى جانب الدراسات التاريخية ، التقى بجمال الدين الأفغاني واسس معه صحيفة العروة الوثقى. علاقة الدين بالعقل عند محمد عبده تقوم على التداخل والتكامل يقول: "إن الإسلام يعتبر من موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خبطه وخلط" رسالة التوحيد كما يقول "إن العقل وحده لا يستقل بالوصول إلى ما فيه سعادة الأمم بدون مرشد إلاهي" حيث يرى أن الآيات التي تدعو إلى النظر العقلي متعددة يرى الشيخ محمد عبده أنه لا تعارض بين الدين والعلم لأن كل منهما يعتمد على العقل حيث تعرض لبعض مسائل العلم ولاسيما تلك التي تتعلق بالرد على الملاحدة والطبيعيين.

2-3 الإصلاح في التيار الصوفي:

يقوم التصوف على دور الفرد في عملية الإصلاح، ومن أهم رواده الأمير عبد القادر: الذي قام بالتأسيس للإصلاح في مختلف الميادين، أهمها: إصلاح النفس في البداية، لم يجد عبد القادر بدا من إصلاح النفس البشرية إلا

بتطبيق التعاليم القرآنية الصارمة" [10].إذ انطلق من ضرورة إصلاح النفس البشرية، حيث تساءل حول أهمية الجهاد الأكبر على الجهاد الأصغر في كتابه المواقف، مبينا قيمة الجهاد الأكبر مقارنة مع الأصغر رغم أنه مجرد كبح لجماح النفس، ولكن في الجوهر ينطلق من تأويله الإشاري للقرآن الكريم الذي يجعل المتلقي له متحليا بالقيم، ومن المنطلقات الأساسية للإصلاح الصوفي عند 'الأمير عبد القادر'، **حب الوطن** يقول في أحد التنبيهات: "لا يذهب وهم أحد بمجرد ما ذكرنا أن الناس كلهم واحد ظاهرا وباطنا. حتى تسقط مراعاة المزايا التي يمتاز بعضهم عن بعض على ما نبهنا إليها من قبل. إذ لولا المزايا (التي) تزايدت بها البلدان على البلدان والإنسان على الإنسان فإن كل واحد يألف ترتبته كإلفه لأمه وأبيه ولذلك لا يزال يحن إلى مسقط رأسه ومحل لهوه وأنسه" [11] فالحنين إلى الوطن والرغبة في التغييره هو هاجس الأمير في الإصلاح والتغيير ومقاومته للمستعمر بمختلف الوسائل.

3-3 الإصلاح في التيار العلماني:

الكثير من المهتمين بالفكر العربي يبعد الفكر الإصلاحي عن التيارات العلمانية ويعتبره حكرا على التيارات الإسلامية، إلا أن العلمانية بدورها تعبر عن تيار اصلاحي اهتم بنقد الأسس الدينية التي بنى عليها المفكرون السابقون الإصلاح، حمل رايته في البداية أقطاب فرح أنطون وشبلي الشميل وطه حسين، نكتفي بهذا الأخير الذي عبر عن أهم رواد الفكر الإصلاحي في شقه العلماني، لأن منطلقه وهاجسه الأول محاربة الفساد الحاصل في

[10] ملاح أحمد، الأمير عبد القادر المصلح والمتصوف، منشورات دار الأديب وهران الجزائر، د ط، 2007 ص 84.

[11] الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عد القادر- سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، شركة دار الأمة الجزائر، ط7، 2010 ص 304

مجتمعه المصري، حيث "يرى أن الدين مهما بلغت أهميته العاطفية لا يستطيع أن يوجه الحياة السياسية ففكرة الأمة يجب أن تقوم على مفاهيم غير المفاهيم الدينية بخلاف ما زعمه الطهطاوي ولطفي السيد" [12] ، فالإصلاح في العلمانية يكون بنقد العودة إلى القديم والماضي والاحتكاك بثقافة الغرب، حيث دعا –طه حسين- إلى الفصل بين الدين والمدنية كأساس للنهضة واعتقد أن لكل واحد دائرته الخاصة به. وذلك من أجل اقتباس مدنية أروبا دون اقتباس دينها. فالدين في نظره لا يستطيع أن يوجه الحياة السياسية وفكرة الأمة تقوم على مفاهيم غير دينية واعتقد أن هناك أهمية أكثر للغة من أجل تنمية الشعور الوطني بين المصريين بجميع توجهاتهم الدينية كما سعى إلى تطويرها وجعلها مصدرا للتحضر بنشر العلوم الحديثة فيها وتوزيع الكتب والمجلات ...كما شجع على ترجمة الأدب الإغريقي والانفتاح على جميع اللغات، و جعل التربية منطلقا للنهضة لأن غايتها لا تكتفي بتلقين العلم ولكن تلعب دورا في نشر الفضائل المدنية وخلق ظروف الحكم الديمقراطي.

خاتمة:

نستنتج أن هدف الاصلاحيين علمي وعملي يقوم على استثمار العقل والفكر البشري في الخروج من الانحطاط والبحث عن النهضة ، ومن النتائج الكبرى لبحثنا ما يلي:

- الهواجس والمنطلقات كثيرا ما تكون مشتركة بين رواد الإصلاح ومحورها البحث في العلاقة مع التراث، العلاقة مع الآخر، الانطلاق من حب الوطن وحب مقوماته الكبرى وعلى رأسها الدين – اللغة – التاريخ ...والهم المركزي

[12] ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، 1897-1939 تر: كريم زغلول، نوفل، بيروت لبنان ط3: 2009، ص 339.

الذي يساورهم في مختلف الأزمنة والأمكنة كيفية إخراج البلد من براثن التخلف وركب قطار النهضة.

- تتعدد تيارات الإصلاح، وتتنوع مشارب زملائه، ولكن لا يمكن حكر الفكر الإصلاحي في التيار السلفي والديني...لكن يمكن اعتبار مختلف تيارات الفكر العربي الإسلامي إصلاحية، بما فيها الصوفية والعلمانية....فلا يمكن ربط الإصلاح بالتيار السلفي والديني فقط.

- يمكن الاستفادة من قراءة الفكر الإصلاحي اليوم في مواجهة تحديات الراهن وعلى رأسها التطرف الديني والإسلاموفوبيا وإفرزات العولمة ...بالاستفادة مما يؤسس له الفكر الإصلاحي من يم التسامح والحوار ...باسم العلم والفكر والفلسفة كما يظهر عندنا عند العلامة عبد الحميد باديس – والأمير عبد القادر ...وغيرهم من المصلحين الذين لا يتسع المقام لذكرهم.

- كما أن الإصلاحيين يدعون إلى الاجتهاد في الدين – الرد على التيارات المادية والدعوة إلى استثمار الجانب الروحي- استعمال التأويل من أجل التوفيق بين العقل والنقل-إعادة النظر في القضاء والقدر باعتبار الإسلام صالح لكل زمان ومكان يجب فهمه فهما يتلائم مع العصر- التأثر بالمعتزلة وابن رشد يظهر في الدعوة إلى استخدام العقل كمطية للخروج من التخلف.

- يؤسس الإصلاحيون على اختلاف مشاربهم فكرة المواطنة أو حب الوطن حسب ما أبدوه من رغبة ملحة في مقاومة الاستعمار وبقاياه وتأثيراته في الحاضر والمستقبل، وذلك في فلك العلم والفكر ، وهو ما نستفيد منه في مواجهة الطابع الإيديولوجي للإصلاح الذي لا نستطيع إنكاره ولكن لا نجزم بشموليته لكل فكر إصلاحي هادف وفعال.

في الأخير تبقى قراءة الفكر الإصلاحي أهم سبل النهضة باسم العلم وفهم مقومات الأمة والدولة فهما علميا وعمليا مواكبا للمستجدات الحاصلة اليوم.

المصادر والمراجع:

- ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهصة، 1897-1939 تر: كريم زغلول، نوفل، بيروت لبنان ط3: 2009.
- الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عد القادر- سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تح: محمد الصغير بناني –محفوظ سماتي – محمد الصالح الجون - شركة دار الأمة الجزائر، ط7، 2010 .
- الجابري، في نقد الحاجة إلى الاصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2005.
- الجويني مصطفى الصاوي، التفسير الأدبي للنص القرآني، منشأة المعارف بالأسكندرية، مصر، د ط، 2002.
- بلقزيز عبد الإله، الإسلام والحداثة والاجتماع السياسي –حورات فكرية-، حوار مع رضوان السيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2004.
- حسن حنفي، التراث والتجديد،-موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوزيع، بيروت لبنان، ط5، 2002.
- عبده محمد، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 2، 1983.
- عمراني عبد المجيد، محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي منشورات الحبر الجزائر، ط1/ 2008.
- طهاري محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1992، الجزائر.
- ملاح أحمد، الأمير عبد القادر المصلح والمتصوف، منشورات دار الأديب وهران الجزائر، د ط، 2007.